ملة الحنفاء وملة السفهاء

الحنفاء: هم عباد الله المخلصين. الذين خلصوا بأنفسهم من ظلمات الضلالة، وتخلَّصوا وسلموا بأنفسهم من الشرك، وخلَّصوها من دنسه، وأخلصوا دينهم وعبادتهم لله جل وعلا.

والحنيف: هو المائل عمَّا تطبع عليه الناس من الشرك.

الحنيف: هو الفطن الذكي، وإن كان لا يتقن من علوم الدنيا شيئاً، لأنه قد حرَّك عقله في معرفة الله وتوحيده والتزمه، فحقق غاية وجوده في هذه الأرض. لذا جاء وصف الله تعالى لنبيه إبراهيم ـ عليه السلام ـ وما كان عليه من الملة «بالحنيفية» أي: أنه مائل عن الشرك الذي تطبَّع عليه الناس في ذلك الزمان، قال تعالى: (**إن إبراهيم كان أمة قانتاً لله حنيفاً ولم يك من المشركين. شاكراً لأنعمه اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم. وآتيناه في الدنيا حسنة وإنه في الآخرة لمن الصالحين**) النحل: ١٢٠ – ١٢٢.

وأمرنا الله تعالى أن نكون على ملته: (**ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين**) النحل: ١٢٣.

فالحنفاء: هم الموحدون الذين حقّقوا التوحيد الخالص لله عزَّ وجلَّ ومالوا عن الشرك إلى ملة التوحيد.

قال ابن منظور في لسان العرب: «ومعنى الحنيفية في اللغة الميلُ، المعنى أن إبراهيم حَنَفَ إلى دين الله ودين الإسلام، وإنما أخذ الحنف من قوله: رجلٌ أحنف، ورِجلٌ حنفاء، وهو الذي تميل قدمها كل واحدة إلى أختها بأصابعها ...».

قال الزجاجي: « ... الحنيف في الجاهلية من كان يحج البيت ويغتسل من

الجنابة ويختتن، فلما جاء الإسلام كان الحنيف المسلم، وقيل له حنيف لعدوله عن الشرك»أهـ.

أما السفهاء: فهم الذين ضلوا عن الإيمان والتوحيد وقلدوا الآباء والأجداد والكبراء، وأشركوا بالله تعالى ومالوا عن ملة التوحيد إلى ملة الشرك، فكانوا بذلك سفهاء. وإن كانوا أصحاب حضارة ومجد وعلم دنيوي، فهم سفهاء، لأنهم لم يتعلموا الشيء الذي من أجله خلقوا. قال تعالى: (**يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون**) الروم: ٧.

وقد وصف الله تعالى من مال عن ملة إبراهيم الحنيفية بالسفه. قال تعالى: (**ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين**) البقرة: ١٣٠.

وقال تعالى: (**وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون**) البقرة: ١٣.

والسفيه عند الناس: هو ناقص العقل، الذي لا يحسن ميزان الأمور ولا تدبيرها. وهو عيب تستقبحه النفوس وتفر من أن تكون موصوفة به. ولكن قد يسهل أمره إن لطف الله بهذا العبد وأنجاه من الشرك وأهله. ولكن السفه الأعظم من ذلك هو أن لا يدرك العبد حقيقة وجوده في هذه الدنيا، ولا ما أراده الله به من خلقه. فتجده كالبهيمة لا يدرك ولا يعقل، وإن حرَّك عقله ففي محيط شهواته ودنياه وحظوظ نفسه. كما قال تعالى في وصف من هذا حاله: (**أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا**). الفرقان: ٤٤.

نعم، هم كالأنعام. وإن كانوا قد برعوا في المعارف والعلوم الكثيرة وأصنافها. فاخترقوا الذرة، وارتقوا السماء، وتجلّى لهم الكثير من أسرار الخلق. فهم

سفهاء بلا شك ما دام أنهم غافلون عن الله خالقهم وفاطرهم وعن التبصر بآياته، وعن غاية وجودهم في هذه الدنيا.

وهذا هو حقيقة السفه: أن تتعطل العقول والحواس عن معرفة الله ودينه. قال تعالى: (**ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون**) الأعراف: ١٧٩.